العوائق والعوائد والعلائق (1)

إن الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أن لا إِلَهَ إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأن مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

اتفق العُقلاء في كل زمان على أن نعيم الروح وسعادتها وغذاؤها يكمن في حب الله سبحانه وتعالى، وأن تعلُق الروح والقلب بالله وحده هو أصل التوحيد، وتحقيق التوحيد هو سبب كل خير يأتي العبد في الدنيا والآخرة، وكلما بَعُدَ الإنسان عن التوحيد وحب الله وتعلق بغير الله كلما عاش في شقاء وعناء وضنك،

فما هي الأمور التي تحُول بين الإنسان وبين وصوله إلى ربه سبحانه؟

العلائق والعوائد والعوائق.

العلائق: وهي الأشياء التي يتعلق القلب بها(غير الله سبحانه)

وتعلق القلب بهذه الأشياء أدى إلى فساد العبادة والطاعة

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (165)﴾[البقرة]

فلماذا يكون الذين آمنوا أشد حُبًا لله؟

قال العلماء: لأن الله أحبهم فأحبوه، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (54)﴾[المائدة]

فالله يُحب عبده أولًا ثم تأتي محبة العبد لربه بعد ذلك وليس العكس، فعندما يُحب الله عبده ويرضى عنه فإن العبد يُحبه ويكون حُبه أتم وأكمل وأعظم لأن ربه أحبه ولهذا قال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾

فلماذا اشتد الحب واكتملت المحبة في القلوب؟ حدث هذا نتيجة محبة الله للمؤمنين، فلما أحبهم الله اشتدت محبتهم له في قلوبهم وعَلَتْ وكَمُلْت

فالمُستحق للحب والذل الله وحده، فلا تُوجه هذه المعاني إلا له وحده دون غيره، فأي مخلوق مهما كانت مكانته أو منزلته لا يستحق أن يُعلق به القلب، ومَن تعلق قلبه بغير الله حتما ولابد أ يُذل بما تعلق ويشقى.

فلقد عبد أهل الأوثان والأصنام والشرك هذه الأشياء وسجدوا لها فكانت النتيجة أنهم عاشوا في عناء وشقاء وضنك في الدنيا وفي الآخرة كُتِبَ عليهم الخُلود في النار أبد الآباد، هذا عذاب ما بعده عذاب لأن القلوب تعلقت بغير الله، فكان عاقبة ذلك الشقاء في الدنيا قبل الآخرة، وإن كان

شقاء الدنيا أهون بكثير من شقاء الآخرة لو كانوا يفقهون، وهذه الحقيقة يغفل عنها الكثير شقاء الآخرة وعذابها والخلود إما في جنة وإما في نار.

فرق بين مَن تعلق بأشياء فأسعدته وبين مَن تعلق بأشياء فأشقته

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (24)﴾ [التوبة]

_الذي ينظر في الآية يجد أن فيها ثمانية أشياء في مقابل ثلاثة أشياء، هذه الأشياء الثمانية لو تعلق القلب بها وكانت أحب إليه من الله ورسوله فقُدِم حبها على حبهما فإن هذا هو الخسران المبين في الدنيا قبل الآخرة، لماذا؟ لأن الله عز وجل انهى الآية بقوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (24)﴾ أي أن: الله سبحانه وتعالى وصف هؤلاء القوم الذين تعلقت قلوبهم بهذه الأشياء بأنهم فاسقين.

_الفسوق لغةً: الخروج عن الشيء

_أما الفسوق اصطلاحًا: فهو الخروج عن الطاعة، والفاسق هو:الخارج عن طاعة الله سبحانه، والخروج عن طاعة الله يكون بحب (الأباء_الأبناء _الإخوان_الأزواج_العشيرة_الأموال_التجارة_المساكن)أكثر من حب (الله _رسوله_وجهاد في سبيله)،

– فتربصوا: أي انتظروا العقوبة

_حتى يأتي الله بأمره :إذا ما قُدِم حب هذه الأشياء على حب الله ورسوله فاعلموا أن العقوبة ستنزل(عقوبات عامة على المسلمين)، (عقوبات خاصة على كل واحد بحسب تقصيره_تفريطه في حق الله)

الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص:

كان يعبد الأصنام على دين الأباء والأجداد فلما سمع بدعوة النبي ﷺ أذعن وانقاد لهذه الدعوة فأسلم وأحسن إسلامه ولكن أمه ظلَّت على كُفرها

عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، أَنَّ سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ , قَالَ: " أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِيَّ: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا﴾[لقمان: 15]،

قَالَ: كُنْتُ رَجُلًا بَرًّا بِأُمِّي، فَلَمَّا أَسْلَمْتُ، قَالَتْ: يَا سَعْدُ: مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي قَدْ أَحْدَثْتَ؟ ، لَتَدَعَنَّ دِينَكَ هَذَا أَوْ لَا آكُلُ وَلَا أَشْرَبُ , حَتَّى أَمُوتَ , فَتُعَيَّرَ بِي، فَيُقَالُ: يَا قَاتِلَ أُمِّهِ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: يَا أُمَّاهُ: إِنِّي لَا أَدَعُ دِينِي هَذَا، أَوْ لَا أَدَعُ دِينَ هَذَا النَّبِيِّ، قَالَ: فَمَكَثَتْ يَوْمًا لَا تَأْكُلُ وَلَيْلَةً، فَأَصْبَحَتْ وَقَدْ أُجْهِدَتْ، قَالَ: فَمَكَثَتْ يَوْمًا آخَرَ وَلَيْلَةً لَا تَأْكُلُ، فَأَصْبَحَتْ وَقَدِ اسْتُجْهِدَتْ، قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ، قُلْتُ يَا أُمَّاهُ: تَعْلَمِينَ وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ مِائَةُ نَفْسٍ فَخَرَجَتْ نَفْسًا نَفْسًا مَا تَرَكْتُ دِينِي هَذَا لِشَيْءٍ، إِنْ شِئْتِ فَكُلِي، وَإِنْ شِئْتِ , فَلَا تَأْكُلِي، فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ , أَكَلَتْ، فَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ " **ترتيب الأمالي الخميسية للشجري(2002)**

حَدَّثَنَا سِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنِي مُصْعَبُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ: حَلَفَتْ أُمُّ سَعْدٍ أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ، وَلَا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرَبَ، قَالَتْ: زَعَمْتَ أَنَّ اللهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ، وَأَنَا أُمُّكَ، وَأَنَا آمُرُكَ بِهَذَا. قَالَ: مَكَثَتْ ثَلَاثًا حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ، فَقَامَ ابْنٌ لَهَا يُقَالُ لَهُ عُمَارَةُ، فَسَقَاهَا، فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي﴾ وَفِيهَا ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: 15] **أخرجه مسلم(1748)**.

لقد اشْتُهِرَ عن سعد ابن أبي وقاص أنه كان مُحبًا لأمه حُبًا شديدًا، وقد كانت محبة الوالدين وبرهما وكذا الترابط بين أبناء العشيرة أمر لا جدال فيه فالترابط وصلة الأرحام كان بين هؤلاء شديد جدًا وهو ما ليس موجود بين الكثير من المسلمين الآن،

وقفة مع المُحب الصادق لأمه:

كان سعد محبًا صادقًا لأمه فقد كان شديد الحب لها، وفي المجتمع الجاهلي كان انفصال الابن عن أمه أو عشيرته أو قبيلته أمر مرفوض تمامًا، ولعلم أمه بهذا الأمر امتنعت عن الطعام تهديدًا لسعد حتى يترك الدين الجديد وظلت على هذا الحال أيام حتى وهنت وأوشكت على الاحتضار فلما رآها على هذا الحال قال لها (تَعْلَمِينَ وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ مِائَةُ نَفْسٍ فَخَرَجَتْ نَفْسًا نَفْسًا مَا تَرَكْتُ دِينِي هَذَا لِشَيْءٍ، إِنْ شِئْتِ فَكُلِي، وَإِنْ شِئْتِ , فَلَا تَأْكُلِي)

_فكان هذا هو الحب الصادق، وهؤلاء هم الذين يستحقون دخول الجنة، ولا يدَّعون المحبة، فالحب الحقيقي الفعلي الذي يظهر عند الأزمات والمحن ليس مجرد كلامًا.

فقد كان في الآية اختبار للمؤمنين ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ﴾

فإذا قُدمت هذه الأشياء على محبة الله ورسوله فلينتظر العبد العقوبة.

- كيف يجد العبد حلاوة الإيمان:

_عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ" **أخرجه البخاري**.

يُبين الحديث أن هناك ثلاثة أشياء لو حققها الإنسان لوجد حلاوة الإيمان، فما هي فائدة حلاوة الإيمان؟ إنها تجعل الإنسان لايمل من السير إلى الله، _فالناس يتوقفون عن الاستمرار في الطاعة لأنهم لا يجدون حلاوة الإيمان، فمَن يحضُر دروس العلم (مثلًا) يستمر بعضًا من الوقت يفعل ذلك فيظل على هذا الحال من الالتزام ثم لا يجد أن الأمر قد اختلف عن ذي قبل بل على العكس فقد يسوء الحال به أكثر، فهو يُعاني من ابتعاد الأهل والأصحاب عنه نتيجة التزامه، ولهذا فإنه ينتكس ويرجع عن الطريق الذي كان ينوي السير فيه لأنه لم يذُق حلاوة الإيمان

_فكيف للشخص أن يذُق حلاوة الإيمان فإذا ما واجهته الدنيا بأسرها فإنه لا يتراجع عن الطريق؟

قال النبي ﷺ أن حلاوة الإيمان يصل إليها الإنسان إذا ما فعل ثلاثة أشياء:

1_ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا:

_لابد أن يكون حب الله ورسوله بالنسبة للعبد مُقدم على حب أي شيءٍ آخر، فإذا فعل ذلك فإنها تكون أول خطوة في سبيل الوصول إلى حلاوة الإيمان.

2_ وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ:

وحتى ينضبط القلب ويصل إلى حلاوة الإيمان والتي بها تحدُث الاستقامة والتي يشكي الكثير من فقدها(فلا يشعرون بالسعادة في التزامهم بأمر الدين)، فإذا أحب العبد شخصًا لابد أن يسأل نفسه لماذا تُحب هذا الشخص؟ فإن كان سبب المحبة لغير الله فعليه أن يتوقف، فلا تكون المحبة إلا لله سبحانه وهذا يعني أن محبتي لهذا الإنسان سببها أنه يسير على طاعة الله ويُقدم حب الله ورسوله على أي محاب، وأنه يُعِين صاحبه على الطاعة،

_الكثير الآن يُحبون بهواهم، فالحب لأجل الدنيا فقط (لأجل المصالح) فهذا هو بئس الحب لأنه عند أول خلاف بينها فإنهما سيبيعان بعضهما لأن المحبة لم تكن لله، فالمحب الصادق لا يضحي بحبيبه بسهولة وهذه هي علامة صدق المحبة فمهما حدث من خلاف بينهما فإن محبتهما لا تتحول إلى كراهية.

3_ "وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ":

والمقصود هو: إما الرجوع إلى الكُفر بمعناه إذا كان كافرًا قبل ذلك أو حتى الرجوع إلى المعصية، فيكون أهون عليه أن يُلقى في النار ولا يعود إلى الكُفر أو المعاصي، هذه هي الأشياء الثلاثة التي إذا حققها الإنسان فإنه يجد حلاوة الإيمان.

- الفائدة الثانية لحلاوة الإيمان:

_مَن ذاق حلاوة الإيمان هانت عليه مشقة الطاعة

_وكلما اجتهد الإنسان في دين الله وعمل على تحقيق العبودية فإن الإيمان يزيد، والعكس فكلما قلت العبودية كلما نقص الإيمان،

_فإذا ما حقق الإنسان الحب في الله بهذه الأشياء الثلاثة فلن يجد أي ملذة أو حلاوة إلا في طاعة الله ومهما كانت المشقة التي تُحيط بأداء الطاعة فإنه لا يشعُر بها، وهذا أمرًا مشاهدًا.

مثلًا: في موسم الحج أو العمرة نرى أن هناك أشخاص من كِبار السِن يطوفون حول البيت سيرًا على الأقدام وهو غير قادر على أن يُقيم ظهره فيطوف وهو في وضع الركوع، فلماذا يفعل ذلك وهو غير مُطالب به، فلديه رُخصة أن يطوف وهو جالس على كرسي، ولديه أيضًا رخصة في عدم الذهاب، ولكن ما هو السبب الذي جعله يتحمل هذه المشقة الكبيرة؟ الحب

_إذن عندما ذاق حلاوة الإيمان هانت عليه مشقة الطاعة بل أنها تكون من أسهل ما يكون لأنه يشعُر أن تَحَمُلْ المشقة أو التعب ابتغاء مرضات الله وفي سبيله وهذا هو نوع من التودد والتذلل ومحاولة التقرب إلى الله (وتلك هي حقيقة العبودية) فينظر الرب للعبد وهو يتودد إليه بتحمل المشقة

والتعب فيمُن عليه ويرزقه الحلاوة في قلبه والتي تُهَوِّنْ عليه مشقة الطاعة، فإذا اكتمل الحُب في القلب هان عليه التعب والمشقة.

فما الذي جعله لايشعر بالتعب والمشقة؟ إنه الله سبحانه، فعندما اقترب من الله وأتعب نفسه إرضاء له، أنزَل الله عليه من السكينة واللذة وعدم الإحساس بالتعب فأعانه على التحمُل ولو نظرنا إلى مَن هو في نفس ظروفه لوجدنا أنه عاجز عن فعل نفس الصنيع بمقاييس البشر فبحوله وقوته لن يستطيع ولكن تعمق حب الرب تبارك وتعالى في قلبه جعله لا يشعر بتلك المشقة

أما مَن لم يذُق حلاوة الإيمان فإنه لا يصبر على تحمل الطاعة وسرعان ماتجده ينتكس.

- **الشاهد:** أنه كلما ازداد في القلب حُب الله كلما ازدادت عبودية صاحبه لربه، وكلما ازداد ذُلًا لله كلما ازداد حُرية، لأن التذلل لغير الله أسير عند من تذلل إليه أما إذا تذلل العبد لله وكان في حالة من انكسار القلب وانكسار النفس أمام الله فإنه يزده رفعة وشرف وانشراح للصدر،

- **فالقلب فقير إلى الله سبحانه وتعالى من وجهين:**

1_الوجه الأول: كما قال ابن تيمية: العبادة وهي العِلَّة الغائية.

2_الوجه الثاني: الاستعانة والتوكل وهي العِلَّة الفاعلية.

- **فما هو مقصود ابن تيمية بهذا؟**

يقصد : أن القلب كلما ازداد في عبوديته لله سبحانه فإنه يزداد محبةً لله وكلما ازداد ذُلًا لله كلما ازداد حُريةً

فما هو المقصود بالعلة الغائية: هذا يعني :أن الله سبحانه وتعالى خلق عباده لغاية معينة وهي العبادة

فقد قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)﴾[الذاريات].

وهذه هي الإشكالية التي يغفل عنها الكثير من المسلمين(لماذا خُلِقنا؟)

_ لعبادة الله فقط، هذه هي العلة الغائية التي خُلقنا من أجلها، أما باقي أمور الحياة فإنها تسير تابعة لهذه العبادة ولا تُقدِّم عليها،

وللأسف يُقدِّم الكثير من المسلمين الدنيا على العبادة وهذا دليل على انتكاس أحوالهم، فلم يخلقهم الله سبحانه إلا للعبادة فقط، الآية صريحة واضحة في كلماتها، فلم يخلقنا الله ولم يُرسل الرسل ويُنزل الكُتب إلا للعبادة، ومن يدَّعي أننا خُلقنا من أجل أي غاية أخرى فإنه كاذب لأن كلامه يُنافي كلام القرآن، أما الحاصل عند الكثير فهو العكس حيث يقدم كل أمور الدنيا ثم تأتي العبادة في نهاية الأمر، ولهذا فإننا نرى أن القلوب في شقاء واضطراب، والنفس في ضيق فهي ليست مطمئنة والصدور ليست مُنشرحة

2_العلة الفاعلية (الاستعانة والتوكل): فمن غير الاستعانة والتوكل لن يستطيع الإنسان أن يعبد الله عز وجل، فالكلام عن إقامة العبادة والقيام بالطاعة سهل ولكن تحقيق هذا الأمر على أرض الواقع لن يتسنى للعبد القيام بها فعليًا ويتغير حاله إلا بالاستعانة والتوكل على الله سبحانه، ولو اجتمعت كل قوى الأرض كي تُحرك القلب أو تدخل فيه شيء فلن تستطيع وكذلك لو أرادت شفاء قلب من مرض من الأمراض لما استطاعت أيضًا، فعل أي شيء، وإذا ما فقد الإنسان عبادة الاستعانة والتوكل فإن لن يتمكن من فعل أي شيء لأنه غير مُستعين بالله ولكنه مُعتمدًا على حوله وقوته ولذلك فهو لا يستطيع أن يتحرك ولو خطوة واحدة فتمُر الأيام والسنين وهو لم يتقدم بل قد يتراجع عن ما وصل إليه وذلك لعدم استعانته بالله ولعدم حُسن التوكل على الله، فما هو الفرق بين الاستعانة والتوكل؟

الاستعانة تكون في العبادات، أما التوكل فإنه يشمل الأمر كله فيشمل الكلمة والحركة وسلامة القلب وأداء العبادة (أمور الدنيا_الآخرة)

- **فما هو التوكل: صدق اعتماد القلب على الله**

_لقد صدق القلب في اعتماده على الله: فهو يريد القيام بهذه الطاعة ولكنها تصعُب عليه، فعلًا هي صعبة ولكن على مَن لم يُحقق التوكل أما مَن حقق التوكل فإنها تسهُل عليه

_علينا أن ننتبه لهذه المعاني: فنحن لا نتحرك بحولنا ولا بقوتنا ولكننا نتحرك بمحض التوكل على الله عز وجل ولولا ذلك لما استطاع أحدٌ منَّا أن يتحرك، وما كان كل هذا البُعْد وعدم القُدرة على الحركة والسعي في أداء الطاعة إلا نتيجة الافتقار إلى التوكل

_علينا أن ندخل في الطاعة وأداء العبادة فمهما كانت صعبة فإنها لا تصعُب على الله.

_علينا فقط أن نُحسِن التوكل ونُحاول التقرب إلى الله فسبحانه لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

_ولن يشعر الإنسان بلذة أو سرور أو أن يطيب له العيش ويسكُن قلبه ويطمئن إلا في عبادة الله وحده والإنابة أي الرجوع الدائم إلى الله عز وجل فيتبرأ دائمًا من حوله وقوته ويلجأ إلى الله ومَن يفعل ذلك فإن كل الصعوبات التي في طريقه ستُذلل، وستختفي كل العوائق.

- **يقول ابن القيم:** "حقيقة الفقر: أن لا تكون لنفسك، ولا يكون لها منك شيء بحيث تكون كلك لله، وإذا كنت لنفسك فثمَّ ملك واستغناء مناف للفقر".

يحتاج المسلمون إلى تحقيق الافتقار إلى الله وليس إلى الناس

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (15)﴾[فاطر]

_وهذا يعني: أن كل الناس فقراء إلى الله الغني الحميد، وافتقارهم إلى الله يعني احتياجهم إليه في كل حركاتهم وسكناتهم، في أقوالهم وأفعالهم وحتى في أنفاسهم، ومَن لم يُحقق هذا الفقر فسيقع في إشكال، إذن لابد أن يَشْعُر كل واحدٍ منَّا بافتقاره إلى الله عز وجل وليس إلى مَن يعوله أو يُنفق عليه أو إلى عمله.

وبكل ما أوتيَّ الإنسان من قوة وجاه ومال ومنزلة فهو فقير إلى الله سبحانه

_ومَن لم يستشعِر بمدى افتقاره إلى الله فإن هذا يعني أنه مُعتمد على نفسه وبالتالي فهو مُستغنٍ عن الله عز وجل،

_تُرى لو أن شخصًا استغنى عن الله سبحانه فكيف يكون حاله؟

_سيضيع في الدنيا قبل الآخرة، والشعور بالافتقار إلى الله سبحانه لابد أن يكون في كل وقت وعلى كل حال، فلا يكون مرهونًا فقط بوقت المرض فيدعو ويتذلل حال مرضه ثم إذا ما عافاه الله يطغى ويتجبر وكأن لم يكن به شيء قبل ذلك، الإنسان يحتاج إلى ربه حال مرضه وحال صحته فالصحة يمكن أن تُسلب في لحظة، وكذا الغني هو فقيرٌ إلى الله لأن المال يمكن أن يضيع في غمضة عين، فإذا نظر العبد إلى نفسه فإنه لن يجد لنفسه في نفسه شيء يملكه فلماذا؟

1- لأنه إذا جاء ملك الموت فهل يستطيع أحد أن يرده ويمنع نفسه منه؟ لا يستطيع أحد أن يمنع عن نفسه الموت.

2- هل يستطيع أحد أن يرد عن نفسه المرض ؟الكل فقير إلى الله في كل وقت وحين، وفي كل حال وليس في حالٍ دون آخر.

يحتاج القلب إلى أن تكون محبة الله مقدمة على كل شيء حتى يستقيم القلب ويترك هذه العلائق، ولكن ما هو الميزان ؟

إذا قابله شيء يتعارض مع محبة الله في قلبه فإنه يدفعه بعيدًا عن نفسه ويُقدم محبة الله سبحانه، فالسائر على الطريق يجد أن محبة الله تستوجب أفعال معينة فإذا ما اعترضها شيء فإنه يُنحيه جانبًا وينطلق مُستمرًا في طريقه، فراحة القلب وطمأنينة النفس في حب الله (أي تنفيذ أوامره واجتناب نواهيه والوقوف عند حدوده).

_ كما أن عذاب الروح والنفس والشقاء الذي نراه في أحوال البشر يكون نتيجة الإعراض عن أوامر الله وتعلُّق القلب بغير الله أيًا كانت صورة هذا التَّعَلُّق، والغفلة عن ذكر الله ومحبة سواه، ومن سُنن الله سبحانه الماضية والتي لا تتبدل في كونه أن مَن أحب شيئًا غير الله عُذِّب به (والمقصود هو المحبة الغير مشروعة)فيكون هذا الحب سبب في ترك الطاعة

مثال: المرأة التي ترفض ارتداء الحجاب الشرعي لأنها لا تريد لجمالها أن يُغطيه الحجاب ولهذا فإنها ترفض ارتدائه، قريبًا جدًا سيذهب الجمال وتبقى الحسرات فهذه المرأة ستُعَذَّب بشكلها عند كبرها، فقد تعلَّق القلب بشكلها وجمالها(ولننظر إلى حال الفنانات عندما يتقدم بهن السِن ويُحاولن الابتعاد عن الأنظار فقد تغير الشكل وحلَّت التجاعيد محل الجمال فذهب الجمال وبقيت الحسرات على ما فات) لقد عبدت نفسها فعُذِّبَتْ بهذا المعبود فهو غير الذي أُمرنا أن نعبده.

كل إنسان يحب شيء غير مشروع فيجعله يقع في المعصية فإنه سيُعذب به في الدنيا قبل الآخرة،

ومن أمثلة ذلك أيضًا:

لو نظرنا إلى حال الأبناء مع الأباء والأمهات لرأينا أنهم يُسيئون إليهم ولا يبروهم رغم أن الوالدين يسعون في إسعادهم بكل الطُرق فيجمعون المال من الحرام والحلال لتحقيق ذلك ثم بعد كل هذا يكون الأبناء سببًا في شقاء الوالدين.

– **الشاهد:** أن كل مَن أحب شيئًا غير الله عُذِّب به إن كان هذا المحبوب يمنع من إقامة الطاعة، وما كان التعب الذي أصاب القلوب والنكد الذي يُعاني منه الناس في معيشتهم والشقاء إلا نتيجة التعلُق بغير الله

_أما محبة الله فهي جنة الدنيا :فإن كان يصح أن نقول أن هناك جنة في الدنيا فإنها تكون في حُب الله والتي محلُها القلب،

وأكبر دليل على هذا هو،

حال الصحابة رضي الله عنهم: فلم يكن لديهم أي نوع من أنواع مُتع الدنيا، فالمنازل صغيرة جدًا والإمكانات ضعيفة جدًا، وإذا كانت الإمكانات الضرورية ضعيفة فهل سيكون لديهم أي شيء من وسائل التَّرَف، وبالرغم من ذلك فقد كانوا في غاية السعادة فلم نسمع أن أحدهم أصيب بالاكتئاب أو أنه أَقْدَم على الانتحار.

إذن فإن عذاب الروح وغم النفس وسجن القلب وضيق الصدر يكون نتيجة التعلق بغير الله سبحانه وتعالى، فمثلُ مَن تعلق بغير الله كمثلِ مَن أراد أن يحتمي من شدة حرارة الشمس فلم يجد سوى بعض من خيوط العنكبوت فاستظل بها فهل هذه الخيوط ستدفع عنه حرارة الشمس؟

وكذلك الإنسان الذي أراد الراحة والطمأنينة والسعادة في غير محبة الله والأُنس به والعمل والطاعة له سبحانه.

وهذا كان حال المشركين فقد كانت آفتهم هي تعلُّقهم بغير الله فتسبب لهم هذا في المعاناة الشديدة في الدنيا والآخرة حيث (الخُذلان_ الضياع_الألم)

فمَن يجعل مع الله إلهٍ آخر يكون في الدنيا مذموم وفي الآخرة مخذول

_فإذا ما قيل إننا لا نعبد إلا الله سبحانه ولا نعبد معه إلهًا آخر؟

_قلنا :أن اتخاذ الألهة من دون الله لا ينحصر فقط في السجود لصنم ولكن اتخاذ الألهة من دون الله كثير(الألهة كثيرة)

قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (43)﴾ [الفرقان]

_فكل حب منع أو حجب صاحبه أو جعله يبعُد عن طاعة الله فإن هذا هو إله وُضِع في القلب.

_إذا انتبهت القلوب لهذه المعاني وعلمت أن الخلاص يكون في محبة الله فإنها ستجذب النفس وتدفعها إلى حب الله والعمل له، وكلما مُلِأَ القلب بحب الله كلما خرجت الدنيا منه شيئًا فشيئًا، فالعلاقة بين حب الله وحب الدنيا علاقة عكسية، فكلما ازداد حُب الله في القلب كلما قَلَّ حب الدنيا فيه وانصرفت عنه، والعكس،

_فإذا انصرفت الدنيا عن القلب ومُلِأَ بحب الله فإن أعظم جائزة ينالها العبد هي حُب الله واصطفائه له.

_فالإنسان الذي يُجاهد نفسه على حب الله، ويُحاول بكل ما أُوتيَّ من قوة فيستعِن بالله ويتوكل عليه في أن يدفع عن نفسه هذه الشواغل فإن الله سبحانه وتعالى يُحبه ويصطفيه، ويالها من منزلة ويالها من غاية (أن يحب الله عبده ويصطفيه)

قال تعالى في شأن موسى: ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (39)﴾[طه]

_لما اصطفى موسى ألقى عليه محبةً من عنده، وهذا يعني أن كل مَن كان يراه كان يُحبه وتلك هي علامة الاصطفاء، فحب الله للإنسان يجعل قلوب العباد تهفوا إليه وتُحبه،

_فكلما جاهد الإنسان نفسه على طرد الدنيا والأمور التي تحول بينه وبين ربه فإنه يصل إلى حالة من الاصطفاء، فيصطفيه الله ويجتبيه وإذا ما حدث له هذا فإن أمر الدنيا بأسرها لا يعنيه ولا قيمة لها عنده، فيستغنى بالله عمن سواه ويفرح بحبه لله وقُربه منه وطاعته له ويتودد إليه حتى يُوصله إلى هذه المنزلة فقد لا يستطيع أن يصل إليها حاليًا، فلا ييأس ولكن يدعو ويستمر ويفعل ما يقدر عليه من الطاعات إلى أن يصل إلى هذه المكانة.

– وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور

قال الله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (20)﴾[الحديد]

_لقد بيَّن الله عز وجل حال الدنيا كلها في آية جمع فيها ما هي الدنيا؟

_فقال :اعلموا : وكلمة اعلم عندما تأتي في بداية النص فإنها تُشير إلى أن ما سيأتي بعدها في غاية الأهمية (وهذا معلوم عند أهل اللغة)

_أنما الحياة الدنيا لعبٌ ولهو: واللعب محله البدن، واللهو: محله القلب

_بيَّن أن الدنيا لهو ولعِب: فلعب البدن : كما يفعل الناس في الشوارع ذِهابًا وإيابًا، ولهو القلوب : فهي ساهيه غافله لاهيه عما خُلِقت من أجله

_وزينة وتفاخر بينكم: فالبيوت الجميلة والسيارات الفارهة، والزينة يتبعها الفخر والتباهي بالأحساب والأنساب والعائلات وبما أنعم الله على العباد من نِعم

–وتكاثر في الأموال والأولاد: فيتحدث الناس عما عندهم من أموال ويريد مَن معه المال أن يحصل على الأكثر، وكذا الأولاد،

_الكُفَّار: وهُم الزُرَّاع، فعندما نزل الغيث على الزرع وأعجب الزرَّاع بعد فترة تأتي الريح فيصير حُطامًا في آخر الأمر، وهذا هو مثل الحياة الدنيا

_وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور: بالفعل سيتمتع الناس لفترة من الزمن ولكن متاع الغرور أي لا قيمة له لأنه سُرعان ما يستيقظ العبد منه فيجد نفسه بين يدي الله سبحانه وتعالى

ولذلك فإن الحياة كما قال أهل العلم أن الحياة كالإنسان:

(صغير_شاب_كهلًا _عجوزًا شوهاء) كل هذه آيات ورسائل من الله تصل للعباد حتى يفيقوا

قال الله سبحانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (54)﴾ [الروم]

_وهذا هو ترتيب حال الإنسان ضعف(طفل) ثم قوة(شاب) ثم ضعف(كهل) حتى يُبيِّن كيف يبدأ وكيف ينتهي، فالعُمر قصير وبدايته ضعف ونهايته ضعف وما بينهما من فترة قوة تكون قصيرة جدًا فلما التصارع والتقاتل على ما هو زائل لا محالة، ولهذا فقد أخبر الله عز وجل عن حال الحياة الدنيا

أنها في حقيقة الأمر (لعب_لهو_زينة_تفاخر_تكاثر) فأعمارٌ تفنى وقلوب تُخرَّب وكلما بعُدت القلوب عن ربها وأُدخلت عليها المعاصي كلما خربت، والكل غافل عن ذلك، والسمع الكثير الذي لا يُقابله عمل بل يقابل بالإصرار على المعاصي يصل بالإنسان في مرحلة من المراحل أنه يسمع ولا يستفيد ولا يعقل ولا ينزجر فما الذي حدث؟ لقد خَرِبَ القلب بسبب الانشغال بالدنيا والتفاخر والمُباهاة والركون إلى غير حب الله.

- انحصرت الدنيا في متاع الغرور:

_قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (185)﴾[آل عمران]

مرة أُخرى يقول: متاع الغرور

كل نفس ذائقة الموت: الكل سيموت

فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز: مجرد زحزحة العبد عن النار ودخوله الجنة فإن هذا يُعَد فوز،

_ثم ختمت الآيات بنصيحة أخرى: أن الحياة الدنيا متاع الغرور، فالأعمار قصيرة وسُرعان ما تفنى ولكنه الغرور.

- دعاء النبي ﷺ على العابد لغير الله

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ

فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ»
أخرجه البخاري(2887).

_الدرهم والدينار: هما العملة المُتداولة في هذا الوقت(الذهب_الفضة)

_فلننتبه : قال النبي ﷺ تعس عبد الدرهم ولم يقُل تعس مالك الدرهم فما هو الفرق بينهما؟

– قال الطيبي: قيل خُصَّ العبد بالذكر ليؤذن بانغماسه في محبة الدنيا وشهواتها كالأسير الذي لا يجد خلاصًا ولم يقل مالك الدينار ولا جامع الدينار لأن المذموم من المِلْك والجمع الزيادة على قدر الحاجة.

_ المعنى: أنه يمكن أن نمتلك المال ولكن المذموم من ذلك هو عبادة الشخص للمال.

_عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ قَالَ: بَعَثَ إِلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَنِي أَنْ آخُذَ عَلَيَّ ثِيَابِي وَسِلَاحِي، ثُمَّ آتِيهِ، فَفَعَلْتُ فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَصَعَّدَ إِلَيَّ الْبَصَرَ ثُمَّ طَأْطَأَ، ثُمَّ قَالَ: «يَا عَمْرُو، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ عَلَى جَيْشٍ فَيُغْنِمُكَ اللَّهُ، وَأَرْغَبُ لَكَ رَغْبَةً مِنَ الْمَالِ صَالِحَةً» ، قُلْتُ: إِنِّي لَمْ أُسْلِمْ رَغْبَةً فِي الْمَالِ، إِنَّمَا أَسْلَمْتُ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ فَأَكُونُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «يَا عَمْرُو، نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ»
الأدب المفرد(299)، [قال الشيخ الألباني] : صحيح

فالإشكال ليس في امتلاك المال ولكن في استخدام هذا المال فيما يُرضي الله (صدقات_حج وعمرة_خدمة المسلمين)

لكنه في الحديث يقول: تعس عبد الدينار: أي الذي عَبَدَ الدينار والدرهم

_فكيف للإنسان أن يعبد الدرهم والدينار؟ بأن يُقدِم حب المال على حب الله، والدليل على ذلك هو أن هذا المال سيذهب به إلى جهنم وبالرغم من ذلك هو مُصِر على جمعه (رشوة_أخذ أموال الناس بالباطل) هذا المال

كان سببًا في تضييع دينه وعبادته ولا فائدة فهو يظل يعمل ليل نهار من أجل جمع المال، وإذا ما قيل له أدي صلاتك يقول: العمل عبادة(مَن قال أن العمل عبادة) هل العمل الذي يحول بين الإنسان وأداء الطاعة يُعتبر عبادة.

– تعس: كلمة تتضمن معنى الدعاء من النبي ﷺ على هذا العبد بالتعاسة والشقاء، فهذا الشخص الذي عبد الدنيا وعبد المال شقي

– شقي في الدنيا: لأنه خادم للمال

– شقي في الآخرة: لأنه سوف يُسأل عن هذا المال من أين اكتسبه وفيما أنفقه.

– يقول ابن القيم: فَكُلُّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا غَيْرَ اللَّهِ عُذِّبَ بِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي هَذِهِ الدَّارِ:

1– فَهُوَ يُعَذَّبُ بِهِ قَبْلَ حُصُولِهِ حَتَّى يَحْصُلَ،

_فأي شيء يُحبه الإنسان فإنه يُعذب به إلى أن يحصُل عليه (امرأة_مال _طُموحات يود أن يصل إلي تحقيقها_أي شيء) يظل في شقاء وتعب إلى أن يصل إلى تحقيق الهدف الذي يُريد أن يناله،

_السعي وراء تحقيق الأهداف ليس عيبًا ولكن العيب في أن يمنعك تحقيق أهدافك من أداء الطاعات.

2- فَإِذَا حَصَلَ عُذِّبَ بِهِ حَالَ حُصُولِهِ بِالْخَوْفِ مِنْ سَلْبِهِ وَفَوَاتِهِ، وَالتَّنْغِيصِ وَالتَّنْكِيدِ عَلَيْهِ، وَأَنْوَاعٍ مِنَ الْعَذَابِ فِي هَذِهِ الْمُعَارَضَاتِ،

ولنا في أصحاب الأموال خير مثال: فالغالب على حال أكثرهم أنهم أبخل الناس (فصفة البخل واضحة جدًا فيهم) يحرصون على المال حرصًا شديدًا

هؤلاء جمعوا المال بصعوبة فعملوا على أن يكونوا حُرَّاس لهذا المال

3- فَإِذَا سُلِبَهُ اشْتَدَّ عَلَيْهِ عَذَابُهُ،

حسرات تتبعها حسرات نتيجة فقده لهذا الشيء الذي كان يملكه،

الأمراض الي تُصيب الكثير من رجال الأعمال وقد يصل بهم الأمر إلى الموت نتيجة فقد المال أيًا كانت صورة هذا المال (مصنع_عقار _شركة _سيارة)_فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ مِنَ الْعَذَابِ فِي هَذِهِ الدَّارِ.

- فهل خُلِق العباد لهذا: لجمع المال ثم حراسة المال ثم يموت مَن يفقد المال وقِس على ذلك كل شيء.

هكذا نجد أن كل شيء يُحب في الدنيا حبًا خارجًا عن الاعتدال يكون سبب في عذاب الشخص ثلاث مرات،

وكذا يُعذَّب في البرزخ : وهو عذاب (الفوت) فُرَاقه لهذه الأشياء التي سعى من أجل أن يصل إليها، ودخوله إلى قبره يعني أنه أصبح وحيدًا وهذا أيضًا صورة من العذاب، فعذاب الوحدة_عذاب الفوت للخير الذي أفنى عمره فيه_ثم أشد أنواع العذاب وهو ألم الحجاب عن الله، فأعظم العذاب يشعر به

العبد لحظة دخوله القبر حيث يُدرك أنه لم يعمل حساب هذه اللحظة، فاتت الدنيا وترك كل شيءٍ خلفه وعذاب الحجاب عن الله وعن النعيم، فالقبر إما دار نعيم وإما دار عذاب،

تحدثنا عن تعلق القلب بالدنيا(السيارات_الأموال_العقارات_المراكز)

- أما تعلق القلب بالمخلوق فإنه يعني: (تعلق القلب بإنسان)

- شخص أحب آخر(قوة الطمع في العبد).

على الإنسان دومًا أن يُوَجِه طمعه ورجائه وإقباله وخوفه ورهبته إلى الله، أما لو قلَّ الإقبال على الله وكذلك رغبته قلَّت عند الله وضعفت عبوديته فإن عبوديته لغير الله تقوى ولابد، فالقلب لا يستطيع أن يعيش من غير أن يُملأ بشيء فإما بعبادة الله وإما عبادة ما سواه.

فكلما قوي طمع العبد في فضل الله ورحمته ورجائه لقضاء حاجته ودفع الضُّر عنه كلما قويت عبوديته له (حالة من الطمع في الفضل والإحسان والكرم والرحمة والمغفرة والعفو) كل هذا نوع من أنواع التذلل لله وهو في حقيقة الأمر عبودية لله سبحانه، فبهذا تقوى العبودية في القلب ويقوى القلب ويقوى الحب لله ومَن يَكُنْ هذا حاله لا يخذله الله أبدًا ويكون دومًا في رُقي ونصر، ولن يَخْذُل اللهُ قلب تودد إليه وتعرَّف وتحبب وتقرَّب إليه لأن هذا يُنافي أسماء الله وصفاته.

ولكن الخُذلان فإنه يأتي من التعلق بالعبد والطمع فيما عند المخلوق

_قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (21)﴾ [الحجر]

خزائن كل شيء بيد الله عز وجل، ولكن ضَعُفَ اليقين عند شخص وبدأ التعلُق بالمخلوق في حل المشكلات وفي قضاء الحاجات ودفع المضرات _كلما تعلق القلب بالبشر كلما حصل الخذلان بقدر تعلُق القلب بهذا المخلوق(عقوبة).

– **مثال:** مَلِكْ عظيم له من المُلْك الكثير والكثير(حاشيه_حرس_ خزائن _ قصر)وجاء شخص ليطلب من هذا الملك شيءٍ ما فترك هذا الملك لهذا الشخص خبر بأنه إذا أراد منه شيئًا فليدخل عليه مباشرةً دون أن يأخذ الإذن من الحراس أو الحاشية وسيُلبي له الملك طلبه، ولكن قِصَرِ نظر هذا الشخص وقِلة عقله جعلته لا يُصدق هذا فلجأ إلى الحاشية والحراس لإجابة الطلب فكان في ذلك إذلالًا لنفسه بسؤاله لهؤلاء دون أن يلجأ إلى المَلك مباشرةً، وبالتالي تأتي العقوبة بإذلال وخُذلان هؤلاء له وعدم سماحهم له بالدخول على المَلِك.

علينا أن نلجأ إلى الله مباشرةً ودون وسائط، فما نحتاج إليه نلجأ فيه إلى الله(فالرغبة_الحاجة_الذُل_الرغبة_الرهبة_التعلق)لا يكون إلا بالله سبحانه، ومَن يفعل غير ذلك فليعلم أن الخُذلان سيُصيبه في الدنيا قبل الآخرة فأكرم إنسان في الدنيا لابد أن يأتي عليه وقت مهما أكرم غيره إلا أنه سيُخذله، فيُكرمه مرة ويسمعه الأُخرى وفي الثالثة يبدأ في الإعراض عنه، يُعْطِي مرة والثانية وفي الثالثة ينصرف عنه لأنه يُعطي أُناسٍ آخرين،

_فلننتبه : لأن هذا الكريم لم يكن إعراضه أو انصرافه لبُخلٍ أصابه أو لأنه شخص سيئ ولكن لأنه بشر ضعيف لا يستطيع تلبية احتياجات غيره، فكما يُعطي هو يحتاج إلى مَن يُعطيه.

- اسألوا الله من فضله.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186)﴾[البقرة]

_قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا (58)﴾[الفرقان]

- التوكل: هو حُسن اعتماد القلب على الله.

الرب تبارك وتعالى يقول: وتوكل على الحي الذي لا يموت، فأي شخص يمكن أن يموت في لحظة فكيف نلجأ إليه ونعتمد عليه.

- **مثال:** الزوجة التي تعتمد على زوجها في الانفاق عليها كيف يكون حالها إذا مات هذا الزوج ؟ يكون لطم الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية، ولكن ربنا يُعلمنا التوكل على الحي الذي لا يموت فكل مخلوقٍ سيموت فلماذا نلجأ إلى مَن لا يدوم مُلْكه.

لابد من حُسن التوكل على الله سبحانه وتعالى (التسبيح_البُعد_التنزيه عن الولد والموت والنقص والصاحبة_وعن كل المذام والأشياء الناقصة)

فسبحانه يعلم ذنوبنا وتقصيرنا وتفريطنا والقلوب التي امتلأت بالسواد والألسنة التي لا تتوقف عن الخوض في الحق والباطل ومع كل هذا فهو سبحانه الحليم الرحيم الودود الرؤوف الذي يدعو عباده للإقبال عليه والتوبة والرجوع والإنابة حتى يُعطيهم، فلا نتعلق إلا به ولا نلجأ إلا إليه.

– المخلوق لا يرزق مخلوق مثله وإن كان في الظاهر يُعَد سببًا

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (58)﴾[الذاريات]

– المخلوق لا يهدي غيره

قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (56)﴾[القصص]

– المخلوق لا ينصر غيره وإن كان سبب

قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (126)﴾[آل عمران]

ولنا في حادثة الإفك خير دليل على أن النصر لا يكون إلا من عند الله النبي ﷺ موجود بين الصحابة ولكن مَن الذي نصر أم المؤمنين ورد كيد المنافقين؟ إنه الله، فإذا كان النبي ﷺ وهو خير البشر وسيد المرسلين لم يستطع إظهار الحق ونصر زوجته، والصحابة أيضًا كانوا غير مُصدقين ولكنهم عاجزون عن فعل أي شيء، وبعد حالة من الانهيار الكامل لأم المؤمنين تنزل برائتها في قرآن يُتلى إلى قيام الساعة، أليس من باب أولى أن لا نتعلق بشخص ونعتمد عليه في النصر وإظهار الحق،

_ليس لنا إلا الله فالعطاء والهداية والنصر والرزق من عند الله، فأي شيء لا يُسأل عنه إلا الله وإن أخذنا بالأسباب فالقلب مُعلق بالله.

تنقلب الموازين بالنسبة للقلب الذي تعلق بغير الله،

– **مثال:** من المعروف أن الرجل يكون له القوامة على المرأة، قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[النساء]

قال سبحانه: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (228)﴾[البقرة]

ولكن الرجل الذي يُحب امرأة ولو كانت زوجته أي أن حبه لها حلال فلو أن هذا الحب زاد عن الحد فأحبها حُبًا شديدًا وشعرت هي بهذا فما الذي يحدث هنا؟ المفروض أن تُبادله حبًا بحب ولكنها تُسلط عليها لأن القلب عُلِّق بغير الله، من حقه أن يُحب زوجته ولكن هذا الحب لا يُعطيه رخصة للوقوع في الحرام، فيوافقها على الحرام والحلال، فالحب الذي يجعله يراها وهي تفعل المعاصي ولا يتحرك له ساكنًا خوفًا من أن تغضب هي عليه يتحول هذا الحُب إلى بغض من جانبها له لأن القلوب بيد الله وسنن الله ماضية في كل مَن أحب شخص محبة غير مشروعة فلابد أن تُسلط عليه هذه المحبة فيُعذَّب بها،

والعكس إذا أحبت المرأة زوجها حُبًا شديدًا فإنها تفعل كل شيء من أجل إرضائه حتى لو كانت هذه الأفعال من المُحرمات(تُشاركه في مشاهدة التلفاز_الاختلاط_لا ترتدي الحجاب)كل هذا تفعله إرضاءً للزوج

_لقد بحثت الزوجة عن إرضاء الزوج ولو كان في هذا غضب الله، وبعد هذا يكون سبب في شقائها.

- العبودية والتعبيد يكون في القلب لا في البدن

ولو أن الإنسان سُجِن وقلبه حُر ومُعلق بالله فليس بسجين، فكثيرٌ من العلماء تمَّ سجنه ولكن ظلَّت قلوبهم حُرة عابدة لله سبحانه، فالبدن يسجن ولكن الروح والقلب في حرية، فما هي الحرية ؟ هي العبودية لله، فتحقيق العبودية لله يكمن في حرية القلب والروح والنفس والطمأنينة والسعادة وانشراح الصدر.

فقد يكون الشخص حُرًا ببدنه ولكن قلبه عبد (لامرأة_لرجل_لمال_لولد).

- فضول المُخالطة (الاختلاط بالناس)

إن فضول المخالطة هي الداء العضال الجالب لكل شر وكم سلبت المخالطة والمعاشرة من نعمة وكم زرعت من عداوة وكم غرست في القلب من حزازات تزول الجبال الراسيات وهي في القلوب لا تزول ففضول المخالطة فيه خسارة الدنيا والآخرة وإنما ينبغي للعبد أن يأخذ من المخالطة بمقدار الحاجة ويجعل الناس فيها أربعة أقسام متى خلط أحد الأقسام بالآخر ولم يُميز بينهما دخل عليه الشر.

وهذا يعني: أن الاختلاط المتواصل بالناس والذي لا يترك للإنسان فرصة لِيخلو فيها بربه، هذه المُخالطة جالبة لكل شر كما قال أهل العلم، فكم من هذه المخالطات قد سببت شرور ومشاكل وسواد وعذاب وعداوة بين الناس، حتى لو كان الطرفين أقرب الناس لبعضهما، خاصةً لو كانت هذه المخالطة ليس فيها ذكرًا لله سبحانه، فلابد أن تتحول إلى عداوة وبغضاء ومشاكل.

وليس المقصود هو: العُزلة ومنع الاختلاط كُليًا ولكن بقدر الحاجة فتكون الزيارات لفترة مُحددة وتنتهي، وليس كما يفعل البعض فتبدأ الزيارة في أول النهار وتنتهي عند آخره وتُقضى هذه الفترة في القيل والقال، لقد ضاع اليوم من غير ذكر لله ولا صلاة ولا أي شيء يُرضي الله ولو لم يحدث في هذه الزيارات سوى دخول أنفاس سوداء لأُناس في الظاهر (هم مسلمون_موحدين) على قلب المختلط بهم لكفى.

لأن مَن كان في قلبه سواد حتمًا ولابد يقذفه على الناس، والناس يغفلون عن هذا، وفي الحديث عن الدنيا والمشكلات والهموم والشكوى يكون الهم والغم والنكد ولا يستطيع الشخص أن ينسحب من هذه الجلسات فقد رضي

بالجلوس معهم منذ البداية، ولكنه لو وضع لنفسه نظام منذ البداية، فتكون للزيارة حدود ويكون للحديث حدود فبمجرد دخوله إلى الجلسة يتوقف الجميع عن الغيبة والنميمة وكل ما يُغضب الله، لأنهم يعلمون أنه سيُفارقهم إذا وقعوا في هذا، فقوة الشخص في دينه تجعل المحيطين به يتوقفون عن ارتكاب الذنوب وهو موجود بينهم،

ولنسأل أنفسنا لقد انقضت الأعمار في الزيارات والاختلاط والقيل والقال فما هي الاستفادة التي نِلناها من وراء ذلك؟

لم نستفد شيء ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل أننا خسرنا لأن ميزان السيئات قد مُلِأ فكيف لنا أن نمحوها ؟وما هو كم الأعمال التي نحتاج إليها حتى نمحو جبال السيئات التي وقعنا فيها.

كل هذا من أجل مَن؟ الناس، كل هذا الضعف والعجز والكسل عن الطاعة وسواد القلب والمشاكل التي لا تنتهي وحال قلوب قد فسدت نتيجة هذه الجلسات.

فالقضية لم تتوقف عند حد جلسة كانت كلها لهو وبُعد عن الله ولا رجوع بجبال من السيئات ولكن الأمر تعدى ذلك إلى أن هذا الجبل من الذنوب حجب الشخص ومنعه عن الطاعة.

– فلننتبه للأوقات التي تضيع فيما لا يُجدي، علينا أن نستغِل كل الأوقات في الطاعة والعبادة والأُنس بالله ومراجعة الحسابات مع الله خاصة في شهر رمضان حتى لا نخرج منه ونحن خاسرين.

نسأل الله أن يصرف عنَّا العلائق